فصـــل

﴿وأذن في الناس بالحج يأتوك رجالًا وعلى كل ضامرٍ﴾

□ ﴿وأذن في الناس بالحج يأتوك رجالًا وعلى كل ضامرٍ﴾ □

عن ابن عباس قال : لما فرغ إبراهيم من بناء البيت ، قيل له : أذن في الناس بالحج ، قال يارب : وما يبلغ صوتي ؟ قال : أذّن وعليّ البلاغ . فنادى إبراهيم : « أيها الناس كُتب عليكم الحج إلى البيت العتيق فحُجُّوا ، قال فسمعه ما بين السماء والأرض ، أفلا ترى الناس يجيئون من أقصى الأرض يلبون »[1] .

وعنه : لما بنى إبراهيم البيت أوحى الله إليه أنْ أذّن في الناس بالحج ، قال : فقال إبراهيم : ألا إن ربكم قد اتخذ بيتًا ، وأمركم أن تحجوه ، فاستجاب له ما سمعه من حجر وشجر وأكمة أو تراب أو شيء : لبيك اللهم لبيك .

وعنه : قام إبراهيم خليل الله على الحجر فنادى : يا أيها الناس : كتب عليكم الحج ، فأسمع مَنْ في أصلاب الرجال وأرحام النساء ، فأجابه من آمن مِمَّن سبق في علم الله أن يحج إلى يوم القيامة لبيك اللهم لبيك .

قال سعيد بن جبير : وقرت في قلب كل ذكر وأنثى .

وقال مجاهد : قام إبراهيم على مقامه فقال : يا أيها الناس أجيبوا ربكم فقالوا لبيك اللهم لبيك ، فمن حج اليوم فهو ممن أجاب إبراهيم يومئذ .

قال ابن عباس: يأتوك رجالًا قال: مشاة، وقال: على أرجلهم، وقال: ما آسى على شيء فاتني إلا أن أكون حججت ماشيًا سمعت الله يقول: ﴿ **يأتوك رجالًا** ﴾.

وقال مجاهد : حج إبراهيم وإسماعيل ماشيين .

وعلى كل ضامرٍ : قال ابن جرير : هي الإبل المهازيل .

---

(١) أخرجه ابن حجر في المطالب العالية عن أحمد بن منيع بسند حسن .

وقال ابن عباس : الإبل .

يأتين من كل فج عميق يعني : مكان بعيد[1]. أجاب من جرى القدر بحجه (لبيك اللهم لبيك) ، فكان ذلك اليوم أخا ليوم ﴿ **ألست بربكم** ﴾ وما يزال وعد الله يتحقق منذ إبراهيم عليه السلام إلى اليوم والغد ، وما تزال أفئدة الناس تهوي إلى البيت الحرام ، وترف إلى رؤيته والطواف به .. الغني القادر الذي يجد الظهر يركبه ، ووسيلة الركوب المختلفة تنقله ، والفقير المعدم الذي لا يجد إلا قدميه ، وعشرات الألوف من هؤلاء يتقاطرون من فجاج الأرض البعيدة تلبية لدعوة الله التي أذن بها إبراهيم عليه السلام منذ آلاف الأعوام[2].

○ سجــع ○

يا إبراهيم نادهم ، ليحصل نفعهم في معادهم ، وأزعجهم بندائك من بلادهم ، وأخرجهم عن أهلهم وأولادهم فليقصدوا بابي مُسرعين عجالا ﴿ **وأذن في الناس بالحج يأتوك رجالًا** ﴾ .

يا غافلًا عنّي ، أنا الداعي ، يا متخلفًا عن زيارتي ، أنا ألقى الساعي ، يا مشغولًا عن قصدي ، لو عرفت اطلاعي ، أنا أقمت خليلي ، يدعو إلى سبيلي ، وأقبلت بتنويلي ، على محبي إقبالا ﴿ **وأذن في الناس بالحج يأتوك رجالًا** ﴾ .

لله در أقوام فارقوا ديارهم ، وعانقوا افتقارهم ، وآثروا غبارهم ، وطهروا أسرارهم ، يدعون عند البيت قريبا سميعا ، ويقفون بين يديه بالذل جميعا ، ويسعون في مراضيه سعيا سريعا، وقد ودّعوا مطلوب شهواتهم توديعا، فأفادهم مولاهم أنْ رجعهم كيوم أخرجهم أطفالا ﴿**وأذن في الناس بالحج يأتوك رجالًا**﴾.

---

(١) تفسير الطبري ٩ /١٠٦ – ١٠٧ .

(٢) الظلال ٤ /٢٤١٨ .

هجروا الكدر وهاجروا إلى الصفا ، وقصدوا المروة بعد أن أمّوا الصفا ، وحذروا الرد وخافوا الجفا ، وتعلقت آمالهم بمن هو حسبهم وكفى .

ناد زوّاري أنا أدعوهمُ   نحو بيتي لينالوا شرفا
فهم وفدي إذا ما نزلوا   بحريمي إذْ دَنَوْا مُزْدَلفا
ولهم عندي مزيدٌ ولهم   مِنْ نوالي ما أحبوا طرفا
فارقوا أوطانهم إذ قصدوا   نحو بابي يطلبون الزُّلفى
فلهم مِنّي مَا أمّلوا   سَلَفا يَنْمى ويُنْشِي خَلَفا[1]

○ ﴿ وعلى كل ضامر ﴾ ○

نجائب تحمل الأحباب ، صوابر على الإنضاء والإتعاب ترفل بالزائرين إلى رب الأرباب ، ادخرت لهم التحف والبشائر ، ونظرت إلى صبرهم على فراق العشائر ، ودعوتهم إلى نيل الأمل الوافر ، ورحمت شعث الشعث وغبار المسافر ، وكتبت في حسناتهم خطوات كل ذي خف وحافر، وأربحت تجارة كل وارد نحوي وصادر، وأعدتهم إلى منازلهم وما فيهم خاسر، فنادهم: ﴿ **يأتوك رجالًا وعلى كل ضامر** ... ﴾.

○ ﴿ يأتين من كل فج عميق ﴾ ○

صبروا على مشاق الطريق ، بين هبوط وصعود ومضيق ، واحتملوا لأجلي خلق الرفيق ، وحُديت بهم المطايا من كل بلد سحيق ، وجانبوا ما يشين وصاحبوا ما يليق، وصابروا ظمأ الشفاه وقلة الريق، فلأسقينهم يوم لقائي من السلسبيل والرحيق، فنادهم: ﴿ **يأتوك رجالًا وعلى كل ضامر يأتين من كل فج عميق** ﴾ .

---

(١) التبصرة ٢ /١٤٧ - ١٤٨ .